عرض كتاب "التصوف الإسلامي من الكتاب والسنة النبوية تأصيل شرعي وبيان فقهي"

"Islamic Sufism from the Qur'an and the Sunnah: A Legal Foundation and a Jurisprudential Explanation"

عبد الرحمن هاشم *

abhashem2009@gmail.com

ملخَّص:

تأتي أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه حاول الإجابة من خلاله على مجموعة من التساؤلات المرتبطة بالواقع الاجتماعي والثقافي في الدول الإسلامية، ومرتبطة كذلك بطبيعة الجدل الدائر والمستمر حول توجهات تيار عريض من المسلمين تجاه قيم التصوف ونظام سلوكه والالتزام بأصوله.

كما بيّن الكاتب أن التصوف منهج يساعد الإنسان على التمثل بآداب العبودية، وإفراد الله وحده بالألوهية، وشهود عنايته وإمداده لجميع مخلوقاته، بلا حول منهم ولا قوة، وهو منهج يعمل كذلك على الإصلاح في الأرض، وليس كما يدعي البعض ظلما بأنه سلوك فردي ينعزل بصاحبه عن المجتمع والناس.

وموضوع الكتاب هو جانب معلوم من الدين بالضرورة؛ بغض النظر عن كون اسمه "تصوف" أو "تطهير" أو "تزكية"؛ فالأسماء تختلف والمضمون واحد.

بدأ المؤلف كتابه بتمهيد أوضح فيه مفهوم الطريق إلى الله عز وجل، وأن إحياء الطريق هو إحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الفصل الأول

* الخبير الإعلامي والمراجع بمركز التراث العربي بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

تناول المؤلف الأصول الشرعية التي يستند إليها طريق القوم، وعلى رأسها سلامة العقيدة على مقتضى ما قرره الأئمة الأعلام من أهل السنة. وفي الفصل الثاني تناول مراحل الطريق إلى الله التي تتمثل في: التخلي، ثم التحلي ثم التجلي. وساق الكاتب في الفصل الثالث من الكتاب مجموعة من القضايا المتعلقة بالتصوف، ومنها: نظرة الإمام الغزالي إلى التصوف ومكانته في الدين الإسلامي، وقضية "الشيخ والمريد"، والضوابط الشرعية المتصلة بالتربية من آداب وأذكار وأوراد لها أصول شرعية.

الكلمات المفتاحية: التصوف، التزكية، العبودية، الإحسان، النفس، السلوك.

Abstract:

The importance of this book lies in the fact that its author attempts to answer a set of questions related to the social and cultural reality in Islamic countries. It also relates to the nature of the ongoing debate surrounding the orientations of a broad movement of Muslims toward the values of Sufism, its code of conduct, and adherence to its principles.

The author also demonstrates that Sufism is a method that helps humans embody the ethics of servitude, single out God alone in divinity, and witness His care and provision for all His creatures, without their own power or strength. It is a method that also works toward reform on earth, and is not, as some unjustly claim, an individualistic behavior that isolates its practitioner from society and the people

The subject of the book is an inherently well-known aspect of religion. Regardless of whether it is called "Sufism," "purification," or "purification," the names differ, but the content is the same.

The author begins his book with an introduction in which he explains the concept of the path to God Almighty, and that reviving the path is reviving the Sunnah of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace. In the first chapter, the author discusses the legal principles upon which the path of this people is based, foremost among them the soundness of belief, as established by the eminent imams of the Sunnis.

Keywords: Sufism, purification, servitude, ihsan, behavior.

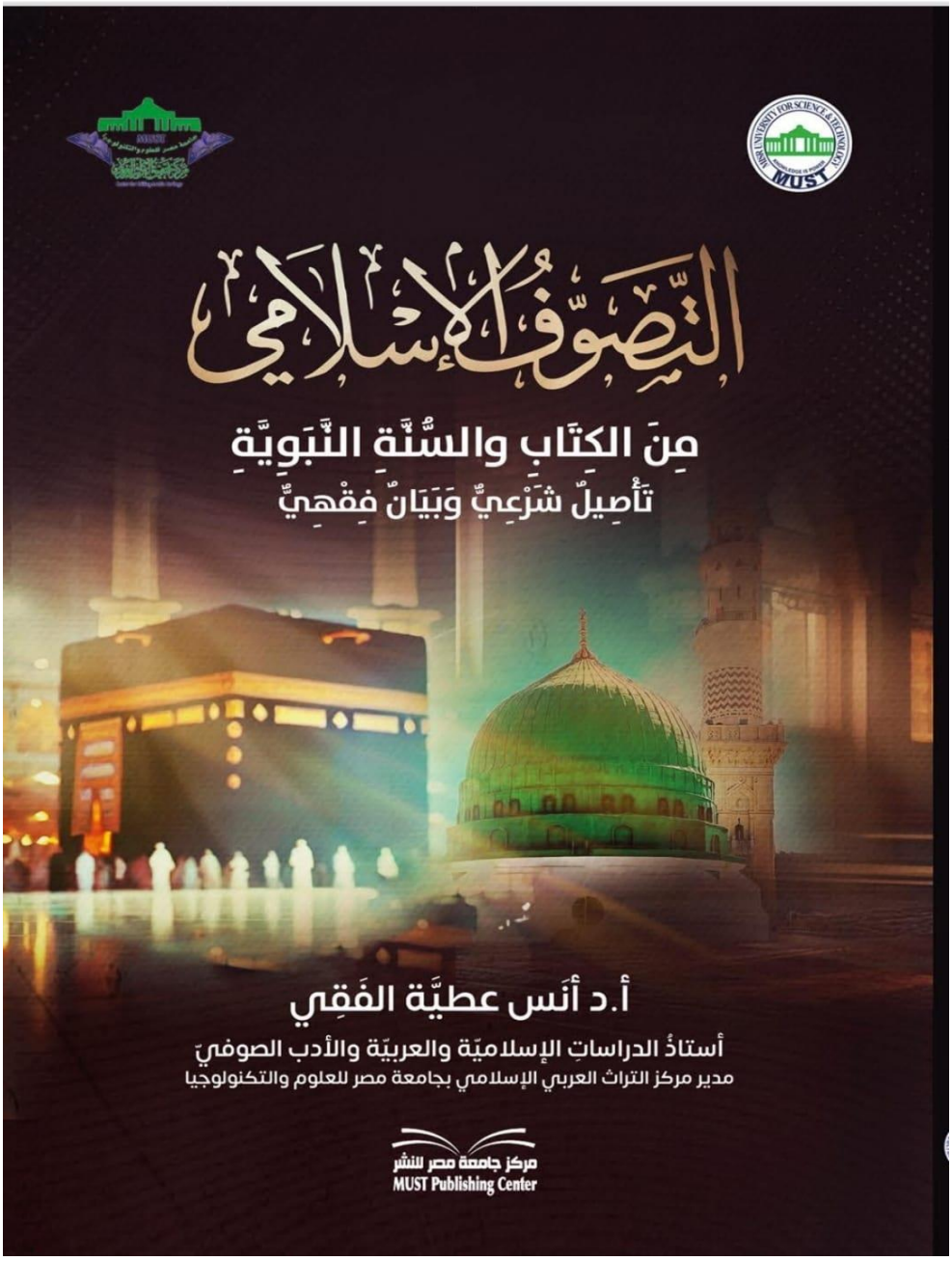
التَّصَوُّفُ الإسْلامِي
مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ
تَأْصِيلٌ شَرْعِيٌّ وَبَيَانٌ فِقْهِيٌّ
أ.د أنَس عطيَّة الفَقِي
أستاذُ الدراساتِ الإسلاميّة والعربيّة والأدب الصوفيّ
مدير مركز التراث العربي الإسلامي بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا
مركز جامعة مصر للنشر
MUST Publishing Center

تأتي أهمية كتاب "التصوف الإسلامي من الكتاب والسنة النبوية تأصيل شرعي وبيان فقهي"، في أنه قدّم إلى الساحة الأكاديمية والفكرية فضلا عن الساحة الثقافية العامة بحثًا علميا رفيع المستوى حاول الإجابة من خلاله على مجموعة من التساؤلات الكبرى المرتبطة بالواقع الاجتماعي والثقافي المعيش في الدول الإسلامية، ومرتبطة بطبيعة الجدل الدائر والمستمر حول توجهات تيار عريض من المسلمين تجاه قيم التصوف ونظام سلوكه والالتزام بأصوله. فالكتاب –كما يوضح الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم عضو هيئة كبار العلماء والرئيس الأسبق لجامعة الأزهر في التقديم له– يعتبر مرجعا من أهم مراجع الدراسات الصوفية الحديثة، ويزيد من أهميته أنك تقرأه فتكتشف أنه كُتب بروح الصوفي وعقلية العلِم وضمير المفكر البحَّاثة.

فهو عبارة عن دراسة علمية جادة ومتعمقة حاولت الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: هل التصوف اتباع للكتاب والسنة؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، فلماذا لا يحرص المسلمون عامة على إبراز دوره الجوهري على الساحة الدينية؟

وقد أوضح الكاتب أن طريق التصوف هو الطريق الذي يسلكه المسلم الصادق مقتديًا برسول الله –صلى الله عليه وسلم– قاصدًا الوصول إلى مقام الإحسان وهو ثالث مقام يرتقي إليه المسلم بعد مقامي الإسلام والإيمان. قال تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} العنكبوت: 69. فالتصوف هو التحقق بمقام الإحسان، والجهاد في الله لا ينشأ إلا من مقام الإحسان. والجهاد في الله يعني كبح جماح النفس وردها عن غيها، ومواجهة رعوناتها، وتأديبها، وتهذيبها.

وهكذا بيّن الكاتب أن التصوف منهج يساعد الإنسان على التمثل بآداب العبودية، وإفراد الله وحده بالألوهية، وشهود عنايته وإمداده لجميع مخلوقاته، بلا حول منهم ولا قوة، وهو منهج يعمل كذلك على الإصلاح في الأرض، وليس كما يدعي البعض ظلما بأنه سلوك فردي ينعزل بصاحبه عن المجتمع والناس؛ فهو جانب معلوم

من الدين بالضرورة؛ بغض النظر عن كون اسمه "تصوف" أو "تطهير" أو "تزكية"؛ فالأسماء تختلف والمضمون واحد، لذلك فإن المتحققين ممَّن سلك طريق الله لم يعبئوا بالتسمية، بل كان همهم الأكبر تزكية نفوسهم والتحلي بمكارم الأخلاق اتباعا للكتاب والسنة.

بدأ المؤلف كتابه بتمهيد أوضح فيه مفهوم الطريق إلى الله عز وجل، وأن إحياء الطريق هو إحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأكد أن سبل الهدى متعددة بعدد أنفاس الخلائق، بدليل قوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) العنكبوت: 69، مفرقًا بينها وبين سبل الضلالة.

وكشف عن أن العلماء المتأخرين الذين عارضوه لم تكن معارضتهم للمنهج وإنما للأشخاص الذين لم يسيروا على المنهج، ولذلك نجدهم أنفسهم قد كتبوا في التصوف كابن الجوزي الذي ألف "صفة الصفوة"، وابن تيمية الذي كتب رسالته "الصوفية والفقراء"، وابن القيم الذي كتب "مدارج السالكين"، والحافظ الذهبي الذي ترجم لعدد من شيوخ الصوفية في كتابه "سير أعلام النبلاء".

وفي الفصل الأول تناول المؤلف الأصول الشرعية التي يستند إليها طريق القوم، وعلى رأسها سلامة العقيدة على مقتضى ما قرره الأئمة الأعلام من أهل السنة، كأبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي، وابن فُورك، والجويني، والغزالي. وكشف عن براءة التصوف الإسلامي مما ألصق به على لسان بعض المشتغلين بالفلسفة.

وقد ساق المؤلف –وهو الأستاذ المتخصص في الأدب الصوفي– في نهاية الفصل الأول أشعارا صوفية تتردد على ألسنة الناس وتثير بعض اللغط عند من لا يدرك مقاصدها الرمزية والذوقية، فبيَّن من خلال شرحها وتحليلها سلامة المقصد ورقي المشاعر ورفعة الذوق.

وفي الفصل الثاني تناول مراحل الطريق إلى الله، التي تُعدُّ لُبَّ التصوف وغايته وهي على الترتيب: التخلّي والتحلّي والتجلّي. وهذه المراحل تعكس بلا شك سلامة المنهج والتزامه بحرمة الشريعة والوقوف على حدودها والتمسك بها ظاهرا وباطنا.

فقد أوضح أن التخلي يبدأ بالتوبة والإنابة ثم المجاهدة وما يلازم ذلك من تقوى وزهد في الشهوات والعلائق والأطماع المتعلقة بالدنيا والجسد. والتحلي يبدأ بمداومة الذكر والترقي فيه من ذكر باللسان إلى ذكر بالقلب، والمراقبة، والحياء، والجود، والسخاء، وحب الله. أما التجلي فيتضمن محبة الله للعبد المحب المخلص المتوكل، فيغمره بأنوار الولاية والمعرفة واليقين.

وساق الكاتب في الفصل الثالث من الكتاب مجموعة من القضايا المتعلقة بالتصوف، ومنها: قضية "التصوف المنقذ من الضلال" التي تبناها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في القرن الخامس الهجري، وكذلك قضية: "الشيخ والمريد" والضوابط الشرعية المتصلة بالتربية، وإذا علمنا أنه ليس هناك أي تناقض بين العلم والإيمان، وأن العلاقة بين العالم وطالب العلم هي علاقة الاحترام؛ تلك العلاقة التي بين (العالم) المسمى بالأستاذ و(الطالب) المسمى بالتلميذ، فالتلميذ يدرك جهله ولكن عرف طريقه وأراد إزالة هذه الجهالة فذهب يتعلم عند ذلك الأستاذ فينبغي أن تكون هذه الأستاذية وهذه التلمذة على وضعها الحقيقي، يقول الإمام علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه: (من علمني حرفاً صرت له عبدا) وهذه كما هو معروف في اللغة العربية "صيرورة مجازية" يعني أنه مجازًا سيكون له كالعبد، والعبد ما شأنه مع سيده؟ الاحترام، التوقير، النصرة، الحب، حسن الاستماع إليه والإقبال عليه، وبذلك نفهم هذه المقولة المباركة في ظل الأستاذية والتلمذة أو العلاقة بين الشيخ والمريد التي يتكلم عنها المؤلف، إنها علاقة الثقة، والحب، والمودة، والاحترام، والتلقي.

وبنظرة إلى واقعنا المعاصر، ماذا نرى؟ نرى الآن بعض الطلبة لا يريد أن يتلقى من الأستاذ ويناقشه مناقشة خارج الأدب، بينما المناقشة المراعية للأدب هي مناقشة الاستفسار والبحث عن الحقيقة؛ لكن هؤلاء لا يحسنون طلب العلم فتراهم يتعالون وهم يحاولون المناقشة، إفرازات غريبة شاعت بين الناس، هذه الإفرازات يعالجها منهج التصوف الدقيق الذي يراعي العلاقة بين الأستاذ والتلميذ.

وهنا يوضح المؤلف أن أهل التصوف يراعون خُلق (الأدب)، فأورد طائفة من أقوالهم، منها:

قال أبو علي الدقاق: "العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى"[1].

وقال يحيى بن معاذ: "من تأدب بأدب الله صار من أهل محبته"[2].

ورُوي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: "نحن إلى قليلٍ مِنَ الأدبِ أحوجُ منا إلى كثيرٍ من العلم"[3].

ولما دَخَلَ أَبُو حفص النيسابوري بغداد قَالَ لَهُ الجنيد: "لَقَدْ أَدَّبْتَ أَصْحَابك أدبَ السلاطين، فَقَالَ أَبُو حفص: حُسْنُ الأدبِ فِي الظاهر عُنوانُ حُسْنِ الأدبِ فِي الباطن"[4].

والشيوخ –كما قال المؤلف– فئات متنوعة، فمنهم علماء الشريعة الذين تخصصوا في علومها من قرآن وحديث وفقه وأصول ولغة وغيرها، ومنهم أهل التصوف الذين أخذوا من العلوم الشرعية ما يؤهلهم لسلوك طريق الله تعالى؛ فمنهم من وصل إلى رتبة الولاية والمعرفة، ومنهم من ظل سالكًا متعبِّدًا راضيا بما أقامه الله فيه.

ويرى الكاتب أن الأولياء –بلا شك– هم العلماء ورثة الأنبياء؛ لأنهم علماء بالله، علَّمهم الله مِنْ لدنه علما، وهم أحق الناس بتربية المريدين الراغبين في سلوك

الطريق إلى الله؛ لأنهم أعلم الناس به، وأخبر الناس به، وقد قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: 59).

وما أعظم أن يجمع الشيخ بين العلوم الشرعية وحقيقة الاتباع فيكون فقيهًا وليًّا عالمًا.

فمن أسلمه الله تعالى إلى شيخ عارف بالله، خبير بأحوال الطريق ومقاماته وعقباته، فقد وفَّقه إلى سبيل الرشاد. فإذا أتم الله عليه نعمته بالفتح والتجلي والوصول على يديه فقد فاز فوزًا عظيما؛ حيث أصبح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ومن لم يجد شيخًا عارفًا بالله تعالى ولم ينشرح صدره لأحد ممن يلقاهم من العلماء فليتوجه إلى الله بصدق النية، ويسأله أن يُبَصِّرَه بنقائص نفسه وعيوبها، وأن ينقله إلى مقام المحسنين بفضله وكرمه؛ ليكون له عند الله إما أن يهديه ويشرح صدره لعبد من عباده يأخذ بيده إلى بابه سبحانه، أو أن يجذبه إليه اجتباءً واصطفاءً فلا يجعل لأحد من العِباد عليه مِنَّة. ومن هنا تبرز قضية مهمة شغلت كثيرا من المسلمين، ألا وهي: **هل وجود الشيخ المُرَبِّي ضروريّ الآن لكل مسلم؟**

يجيب المؤلف فيقول: ذلك يتوقف على حالة المسلم نفسه؛ فإن كان يريد أن يسلك طريق الله ليصل إلى مقام الإحسان، هذا المسلم الذي يريد ذلك يُسمَّى مُرِيدًا ويحتاج إلى شيخ بصير من العلماء ورثة الأنبياء يتولى إرشاده وتربيته وتزكيته اقتداءً برسول الله –صلى الله عليه وسلم– مع صحابته الكرام.

أما إن كان هذا المسلم يريد فقط أن يؤدي الفرائض ليُعتق من النار ويدخل الجنة كما ورد في حديث الأعرابيّ الذي جاء إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سائلًا عن الإسلام وما يجب عليه فيه، فدَلَّه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على الصلوات الخمس والصيام والزكاة، ودلَّه أيضًا على إمكانية التطوع، فأدبر قائلًا: والله

لا أزيد على هذا (أي: الفرائض) ولا أنقص. بل إنه قال في رواية للبخاري: "لا أتطوع شيئا"، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في نهاية الحديث: "أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق"[5]. فمن كان حاله كحال هذا الأعرابي فلا يجب عليه –شرعًا– التَّسَلُّك على يد شيخ، بل يستحب له ذلك.

ولكن نلحظ في هذا الحديث قوله –صلى الله عليه وسلم–: "أفلح إن صدق" أي: أنه جعل الصدق معيارًا للفلاح. فهنا يجب التنبيه إلى فقه هذا الحديث الشريف وما فيه من إشارات ليفهم المسلم أن هذا المعيار "الصدق" لا يتيسر إلا بتوفيق الله.

فلو ركن الإنسان إلى نفسه لوجدها في أغلب الأحيان أمَّارة بالسوء، تركن إلى الشهوات والغفلات. فكيف يأمنها في صدق الأحوال؟!

وللإمام ابن عطاء الله السكندريّ حِكمة مهمة في هذه القضية تبيّن ضرورة الصدق لدى من يطلب الأجر على عمله بقوله: "**متى طَلَبْتَ عِوضًا عن عَمَلٍ طُولبتَ بوجودِ الصِّدق فيه، ويكفي المريب** (أي: المتشكك في الصدق) **وجدان السلامة** (أي: أن يجد نفسه سالما من العقوبة)".

فبناءً على ما تقدم يؤكد المؤلف أن سلوك طريق التصوف يأتي بتوفيق من الله تعالى لعبادٍ اختصهم برحمةٍ منه وفضل، والله يختص برحمته من يشاء.

وقد ساق المؤلف مقولة للشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه استشهد من خلالها على ما يجب أن يتواصى به أهل الطريق طلبا لصدق التوجُّه؛ حيث قال في إحدى وصاياه: "أوصاني حبيبي فقال: لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من معصية الله، ولا تصطحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا وقليلٌ ما هم"، وقال أيضا رضي الله عنه: "من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك".

كما ساق المؤلف مسألة "الأحزاب والأوراد" وأوضح أن كلمة "الحِزب" تُطلق على الجُزء من القرآن أو النافلة التي يلتزم بها العبد تقرُّبًا إلى الله، وقد أُضِيف إلى ذلك معنى آخر وَرَد في السُّنة النبوية، وهو حديث حذيفة –رضي الله عنه–: "**كان النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– إذا حَزَبَه أمْرٌ صلَّى**"(6).

فكلمة "حَزَبَه" في هذا الحديث بمعنى اشتد عليه، أو ضغطه، أو نابَهُ، ومعنى الحديث: أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– كان إذا اشتد الأمر عليه قام إلى الصلاة، والصلاة هنا معنًى مفتوح؛ يشمل الصلاة المشروعة بركوعها وسجودها، ويشمل أيضا الدعاء؛ لأن الصلاة في اللغة معناها الدعاء.

ومن هذا المنطَلَق أطلق أهل التصوف كلمة "حِزب" على مجموعة من الأدعية والأذكار والآيات التي يجمعها أحد الصالحين من العلماء والأولياء بفتحٍ من الله لهم، إما في كرب أصابه فاستغاث الله به فأغاثه، ثم استعمله أصحابه تبركا بشيخهم (كحزب البحر للإمام الشاذلي)، أو أن يكون قد فتح الله عليه به في حال تَبَتُّلٍ وعبودية (كالحزب الكبير للإمام الشاذلي أيضا). فعلى أساس هذا المعنى استقرت دلالة كلمة "**حِزب**" عند الصوفية.

أما كلمة "**وِرد**" فاستقرت على ما يُلزم الإنسان به نفسه ليلا أو نهارا من ذِكْرٍ أو تلاوة أو استغفار أو صلاة على الرسول –صلى الله عليه وسلم– أو أي نافلة أخرى.

والوِردُ اليومي يُقْرأ فرديًّا سرًّا صباحًا ومساءً، وهو أهم واجبات الطريق بعد الفرائض كما أشار بذلك شيوخ الطريق؛ لأنه بمثابة التأكيد الطوعي على تجديد العهد بين العبد وربه في الصباح والمساء، وهو بداية التقرب انطلاقا من قوله تعالى في الحديث القدسي "**ما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ**" وتأسيا برسول الله – صلى الله عليه وسلم– في **الاستغفار**: "**استَغفِروا ربَّكم وتوبوا إليهِ فإنِّي أستَغفِرُ اللَّهَ وأتوبُ إليهِ في كلِّ يومٍ مئةَ مرَّةٍ أو أكْثرَ مِن مئةَ مرَّةٍ**". وامتثالا لأمر الله سبحانه

بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، ثم التأكيد على العهد الأزلي بذكر " **لا إله إلا الله**" خير ما قاله وعلمنا إياه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخير ما قاله الأنبياء جميعا من قبله. ولذلك تواتَرَ عن شيوخ الطريق قولُهم: "الوِرْدُ رُوحُ الطريق" وقالوا أيضا: "مَنْ قَرأَ وِرْدَنا فَلَهُ ما لَنا وعليه ما علينا" يريدون بذلك إلزام المريد بالورد اليومي؛ خاصة وأنه يسير الكلمات لا يحتاج- مع أهميته- إلى قوة حافظة، وتمكن من اللغة العربية. كما أنه يمثل نوعا من الذكر السرّيّ الفردي، فهو أقرب إلى الإخلاص. من باب قوله تعالى: "**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**" [الأعراف: ٢٠٥].

وقد استدعى هذا الالتزام -كما أوضح المؤلف- نشأة مصطلح آخر يُعبر عن الالتزام بالوِرد أو الحِزب أو الأذكار يوميًّا، وهو مصطلح "الوظيفة".

فالوظيفة تعني: الالتزام بوِرد معيَّن أو حزب معيَّن أو أذكار معيَّنة يُلزم بها العبد نفسه اقتداءً بالنبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة -رضوان الله عليهم-، وقد يُوصي الشيخ بها المريدين اختيارًا منهم لا فرضًا عليهم؛ لأن لزوم الطريق -أصلًا- يكون باختيار المُريد، وليس واجبًا شرعيًّا على عامة المسلمين.

وقد سميت الوظيفة الحكومية المعاصرة بالاسم نفسه نظرا لأنها عمل معتاد يلتزمه الموظف في وقت معين، فهي تشترك مع مصطلح "الوظيفة" لدى الصوفية في معنى العادة والالتزام في أوقات معلومة.

وفي خاتمة الكتاب ساق المؤلف وصية نفيسة منسوبة للإمام ابن عطاء الله السكندري لمن يريد أن يسلك طريق التصوف، كان قد وجهها لأتباعه في الإسكندرية[7]، ومما جاء فيها:

- السعيد من أعطاه الله قلبا مفكرا، وبصرا معتبرا، وأذنا تسمع من الله، ونفسا ناشطة إلى خدمة الله.

- من علامة محبة الله للعبد: محبة العبد إياه، ومن علامة محبة العبد لله: ألا يؤثر عليه شيئا سواه، ومن علامة عدم الإيثار على الله: النظر إلى الدنيا بعين الاحتقار، وإلى الأكوان ببصر الاعتبار.
- كيف يجدد عليك نعمة أنت طالبها وقد ضيعت شكر نعمة طلبتك حتى وصلت إليك؟ ألا إن من أحب بقاء شيء قيده بعقاله خيفة زواله، فقيدوا نعم الله فيكم بوجود الشكر.
- لا تهملوا شيئا من الطاعات، ولا تستغنوا عن الأوراد بالواردات.
- التحقق بالعبودية يكون بالامتثال لأمر الله، والاستسلام لأحكام الله.
- إنما يطول الطريق على من لم يسلكها على منهج حق، ولا دخل فيها مُدخل صدق.

وفي الختام يمكننا القول إن التصوف الإسلامي حالة شعورية داخلية لا يمكن وضعها في كلمات وتعاريف.. إنها تشمل الرضا والسلام والهدوء والسكينة القلبية التي لا تعرف همًّا أو قلقا أو توترا أو غليانا أو مشاعر سلبية ولا يمكن أن يصفها إلا من يذوقها (من ذاق عرف)، ومِنْ ثَمَّ فالمتصوف المسلم لا يزعجه شيء، حتى الموت نفسه لا يزعجه، وكذلك الرزق، وهو راض يطلب الرضا باستمرار، ومهمته في الحياة التواضع لله وحب الهداية لكل الناس، هو طالب الحقيقة منذ الأزل وإلى الأبد. ولذلك فهو يحاول أن يتخفف من الاقتناء بأي صورة ويسلم لله ذاته مجاهدا رغائب نفسه ليتحقق له الانسجام مع الله كلية دون انشغال بأحد غيره.

ولا أقصد أن يعيش الجميع في حالة تصوف، فهذا مستحيل وغير منطقي، ولكن أقصد أن تكون هذه المبادئ مما تُربى عليها الشخصية المسلمة، وتوضع في مناهجنا التربوية والتعليمية في كافة المراحل الدراسية. والغريب أن الإنسان يعي

تمامًا أنه لن يأخذ شيئا معه عندما يحين موعد مغادرته هذه الدنيا، تمامًا كما ولد فيها ولم يكن معه أدنى شيء، ورغم ذلك يتناسى هذه الحقيقة، ويُمضي حياته في صراعات صغيرة أو كبيرة بلا أدنى هوادة حول المال والثروة والنساء، والأنا والسلطة، والدنيا والمتعة! وفي ذلك يتصارع ويتشاجر ويتقاتل ويخاصم ويغضب وينتقم ويفجر ويطغى ويكذب وبالتالي يخسر روحه وأنسه بالله، ثم يشتكي ما حلَّ على فكره وجسده وصحته النفسية وصحته الاجتماعية ويقول: إنني أعيش وأتنفس نعم، لكن بلا روح وبلا إنسانية!

وختاما؛ فهذا الكتاب الذي تم عرضه آنفًا قد يجد القارئ فيه إجابات شافية عن تساؤلات طالما أرقت الإنسان تتمحور حول الهدف من الحياة، والطريقة المثلى للتعايش فيها مثل:

- **كيف نعيش بالله وفي الله ولله؟**
- **وهل يمكن أن نجد السعادة خارج دائرة الطمع والأنا والصراع والمال؟**
- **كيف نحوز السلام الباطني ونتجنب كل أشكال العنف أو الحدة؟**
- **كيف نحيا ببساطة وبرضا ونتجنب الترف وفلسفة الاستهلاك؟**
- **كيف نحترم الكون ونعيش معه وهو يسبح الله؟**

الهوامش:

[1] الرسالة القشيرية طبعة المنهاج: 445/2.

[2] الرسالة القشيرية: 447/2.

[3] السابق.

[4] السابق.

[5] أخرجه البخاري (2678)، ومسلم (11).

[6] سنن أبي داود: 1319.

[7] لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن الشاذلي، تأليف ابن عطاء الله السكندري، تحقيق أنس عطية الفقي، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا مركز تحقيق التراث العربي ط 2023م ص 319.